University of Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRHJ)
Volume 9, Issue 2, (2025), pp. 1-20, ISSN:3079-0581

Arab Thought (Crisis of Culture or Intellectuals): An Analytical Reading

Naji Al-Naaji

Department of Philosophy – Faculty of Education, Nasser ,University of Zawia
Zawia - Libya

EMAIL: n.alnaaji@zu.edu.ly

Received:01 /06/2025 / Accepted:15/06/2025 Available online:31/12/2025.*DOI:10.26629/UZRHJ .2025.09*

Abstract:

Anyone tracing the course of modern and contemporary Arab history will observe that while the intellectual landscape was not lacking in cultural figures, it suffered from a lack of consensus and divergent intellectual trends. Consequently, theoretical approaches differed, particularly in our contemporary era. This reflects a crisis in Arab thought, specifically concerning the intellectual and the prevailing cultural paradigm. The problem, therefore, lies in the structure of the Arab intellectual, which reflects the Arab reality, the true nature of the intellectual, and their influence on their social and political environment. We might also observe a problem in the maturity of intellectual visions and propositions, which have been the subject of debate and the imposition of Western intellectual and philosophical projects onto the Arab reality. This has led to exaggerated expectations and a discrepancy between ambition and reality. Thus, the dilemma in our Arab world lies in the awareness of who we are, what we want, how we will achieve it, and where we will end up. Therefore, what prompted me to explore the identity of the Arab intellectual and the maturity of their discourse is that it has not been a highly influential or effective cultural force. The Arab scene, and perhaps it did not withstand what we witnessed in the Arab Spring uprisings, whose embers quickly died out and whose dreams collapsed, as well as what happened after October 7, 2023 in Gaza, Palestine, which revealed beyond any doubt that the influence of the Arab intellectual does not extend beyond the margins, speeches and petitions are signed, but have no effect. The level of repercussions in the Arab cultural scene reflects the poor state of the Arab intellectual, and from here came our question about the Arab intellectual between the meaning and the reality.
Keywords: Culture – The intellectual – Culture crisis – contemporary – Arab Thought

"Articles published in *Univ Zawia Rewaq Alhkma* J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License."

الفكر العربي (أزمة ثقافة أم مثقف) قراءة تحليلية

ناجي النعاجي

قسم الفلسفة ، كلية التربية ناصر ، جامعة الزاوية

الزاوية – ليبيا

Email: n.alnaaji@zu.edu.ly

تاريخ الاستلام: **2025/06/01**م تاريخ القبول: **2025/06/15**م تاريخ النشر: **2025/12/31**م

ملخَّص البحث:

إن المتتبع لمسار تاريخ العرب الحديث والمعاصر يلاحظ بأنّ الساحة الفكرية كانت لا تفتقر لوجود رموز ثقافية ، إلا أنها كانت تعاني من عدم توافق في الرؤية والتباين في الاتجاهات الفكرية ، وبالتالي ترتب على ذلك بأن المنهج التنظيري اختلف خاصة في حقبتنا المعاصرة ، الأمر الذي يعكس واقع أزمة في الفكر العربي ، أي في المثقف ونمط الثقافة السائدة ، وبالتالي فإنّ المشكلة تكمن في بنية المثقف العربي الأمر الذي يعكس الواقع العربي ، وحقيقة المثقف وتأثيراته في محيطه الاجتماعي والسياسي ، ولعلنا نلاحظ أن هناك مشكلة كذلك في مستوى نضج الرؤى والأطروحات الفكرية التي كانت مثار جدل وإسقاط للمشروع الفكري والفلسفي الغربي على الواقع العربي، والمبالغة في سقف التوقعات والتباين بين الطموح والواقع ، ولذا فإن الإشكالية في عالمنا العربي تكمن في الوعي بمن نحن ، وماذا نريد ، ، وكيف سنحقق ما نريد ، وإلي أين سننتهي ،عليه فإنّ الأمر الذي دعاني للبحث في هوية المثقف العربي ومستوى نضج أطروحته هو في كونها لم تكن ثقافة بالغة التأثير ، ومؤثرة بفاعلية في المشهد العربي ، ولعلها كذلك لم تصمد أمام ما شهدناه في انتفاضات الربيع العربي التي سرعاناً ما خبت جذوتها ، وتهاوت أحلامها ، وكذلك ما حدث بعد 7أكتوبر 2023 في غزه بفلسطين ، والتي كشفت بما لا يدع مجالاً للشك ، بأنّ تأثير المثقف العربي لا يتعدى الهامش ، خطابات وعرائض توقع ، ولا أثر لها ، فمستوى الارتدادات في المشهد الثقافي العربي تعكس سوء حالة المثقف العربي، ومن هنا جاء سؤالنا عن المثقف العربي بين الدلالة والواقع .

كلمات مفتاحية: الثقافة– المثقف العربي– أزمة الثقافة– الفكر العربي المعاصر.

مقدمة:

الحديث عن أزمة الثقافة، وهامشية دور المثقف في العالم العربي ، كُتِبَ فيها الكثير، بين أصالتها المجيدة ، وحاضرها الجامد ، بين تنويرها الروحي ، وأزماتها المتعددة ، وكذلك أحلامها التي خبت قبل أن ترى النور (النهضة العربية الأولى ، وإطلالاتها النهضوية الثانية).

فالنهضة العربية وبما برزت فيها من شخصيات فذة لم تقدم لنا مشروعاً متكامل الأُطر، أو رؤية واضحة المعالم ، لأجل النهوض بالأمة العربية والإسلامية . بحيث يكون ذلك المشروع ، أو الطرح متوافق مع المزاج العربي بكل مكوناته الاجتماعية والعقائدية ، لذا فإن العرب فعلاً عاشوا بُعّيد الدولة الإسلامية فراغاً سياسياً وعجزاً ثقافياً ، لم ينجز معه أي مشروع ، إلا محاولات محمد علي (1769 – 1849) في مصر والتي أحدثت تطوراً ملحوظاً في طبيعة المشهد العربي ، وعموماً فإن خصوصية المشهد العربي دائماً تتضاءل لصالح محاكاة تجارب الآخرين، وهذا جوهر القضية التي لازلنا نقف عندها ، كيف يمكن لنا أن نتطور ونتقدم ونسير ونساير العصر دون أن نكون مقلدين ؟. وفي هذا المقام تأتي دراستنا (الفكر العربي بين _ أزمة مثقف أم أزمة ثقافة) لعلنا نلامس الواقع ونتصور الأفاق ، ولكي نفهم ماهية المثقف لا بد من العبور من خلال جسر الثقافة باعتبارها الزاد الذي يتزود منه المثقف، وبه يتشكل، فالثقافة هي معيار شخصية المثقف التي تجعل منه مهندساً للأفكار والأذواق ، لما تزوده به من مقومات شخصية ، وبما يضفي عليه التعليم من خبرات وتقنيات معرفية تمكنه من إحداث إضافات على شخصيته . وبعبارة موجزه ، الثقافة عامل ثراء تشكل المثقف وتنعكس فيه .

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في طرح العديد من التساؤلات والتي منها: من هو المثقف بصفه عامة ، والمثقف العربي بصفه خاصة ؟ وما هي حقيقة وموضوعية ثقافته؟ وما تأثيره في المحيط العربي؟ كيف بدأ وإلى أين وصل؟ وما هو الدور الذي لعبه ويلعبه في المشهد العربي؟ وكيف يمكننا توصيفه؟ . فهل هو نتاج واقع المجتمع أم مأخوذ بالنموذج الغربي؟ وأين يجب أن يكون ، مع الجموع ، أم في خدمة الحكام؟ وكيف تعامل مع المشهد؟.

يهدف البحث إلى قراءة وتحليل بنية المثقف ، ومفهوم المثقف العربي وتشخيص واقع الفكر العربي ، ومعاينة حقيقة الأزمة التي يعانيها وفق رؤية نقدية . ولأجل ذلك تأتي هذه المحاولة كنقد للواقع، والدعوة للإصلاح ، وإعادة التموضع السليم .

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على بنية المثقف العربي وتحليل واقعه المعاش، والاستفادة من أفكار المثقفين العرب في معالجة الأزمة الثقافية الراهنة، كما قد يفيد البحث في زيادة اهتمام المسئولين ومؤسسات المجتمع بالبرامج والأنشطة الثقافية.

التزم الباحث في بحثه بالمنهج التحليلي المقارن، وفق أليات النقد والتمحيص ، واستقراء التاريخ ، فلا يمكن فهم الواقع ، وطرح الأفاق إلا من خلال النظر والعبر .

أما تقسيمات البحث فقد تمثلت في النقاط الآتية:

أولاً: مفهوم المثقف في اللغة والاصطلاح:

لمعرفة من هو ذلك الإنسان الذي نلحق به مصطلح المثقف علينا أن نستعين بحقل اللغة التي توصف الذوات وفق صفات تتسم بها تلك الذوات التي نعدها من المثقفين .

أ-**المثقف في اللغة** فنجد مصطلح المثقف في اللغة العربية يشير إلى "المثقف- مفرد- اسم مفعول من ثقف، متوسع ومتبحر في الثقافة والمطالعة . والرأي العام المثقف هو الرأي الذي يمثله المتعلمون سواء أكان تعليمهم عالياً، أو متوسطاً" (عمر ، 2008، 319) فالتعليم إذاً يعد المؤشر الأهم بالنسبة للثقافة ، فكلما تبحر المثقف في فضاء العلم والمعرفة كلما كان ذلك المثقف أعمق ثقافة وتنورًا وبصيرة . في حين أنّ اللغة الإنجليزية تصطلح على لفظ (intellectual) بأنّه هو المثقف والمفكر، لذا فالفكر مرتبط بالثقافة ، ومع ذلك فبعض المفكرين مثقفين ، وليس كل مثقف مفكر بالضرورة .

ب- والمثقف في الاصطلاح : يراد به ذلك الإنسان الذي ، في جوهره ناقد اجتماعي، وكذلك هو الشخص الذي يعمل بجد ، فيحدد ويحلل القضايا والأفكار ، ويقترح الحلول للإشكاليات ، فهو يعمل لأجل المساهمة في تجاوز كل العوائق التي تحول دون بلوغه الهدف الأسمى والذي هو الوصول إلى نظام اجتماعي أفضل، ونظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية (الجابري ، 25) ويذهب بندا(1867- 1956) إلى أبعد من ذلك فيعرف المثقف بصيغة الجمع ، بأنهم "عصبة صغيرة من الملوك ، الفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الاستثنائية ، وبالحس الأخلاقي الفذ ، ويشكلون ضمير البشرية" (سعيد، 1996 ، 22). وبالتعمق أكثر في قراءة هوية المثقف نجد أنفسنا أمام فيض كبير من التعريفات لمفهوم المثقف ، انطلاقاً من مفهوم الثقافة التي تُعد جزء من هوية الإنسان ، ولذا فكل ما يعرفه الإنسان في مشوار حياته هو ثقافة ، لكن للثقافة مستويات ، فمنها السطحية ، ومنها التخصصية ، ومنها الشاملة ، ومنها العميقة ، والتي تمس شتى مناحي الحياة ،الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وبالتالي نجد أنّ

غرامشي(1861– 1937) يحدد هوية المثقف بأنّه شخصٌ يؤدي وظائف محددة في المجتمع ويعمل على إنتاج المعرفة أو نشرها (سعيد ،2013) ، فالمثقف له مسؤولية تناظر الدور الذي كان يلعبه الأئمة وقادة التغيير ، أي الأنبياء والرسل وأئمة المذاهب في المجتمعات القديمة (شريعتي، 2007) وتُعد مسؤوليته مسؤولية تضامنية ، لا ينتظر أي عائد من ورائها ، فالمثقف يتميز بالحذر واليقظة، ولذلك فهو كائن مستقل ، يقاوم ويحارب الجمود ، ويبعث الحياة بالأفكار فينجز حلولاً لأعقد القضايا والاختناقات ، ومن طباعه الانحياز للحق، لا يرتمي في أحضان الدكتاتوريين والمنحرفين ولا يبرر أفعالهم ، بل هو خصمهم العنيد ، فالمثقف ينشد العدل والحق ، وهو دائماً في منطقة الخطر ، يدفع الأذى بكل ما أوتي من قوة ، لأنه ضمير الأمة الحي.

ثانياً : بنية المثقف:

يجب أنّ ننطلق من مبدأ أنّ المثقف هو إنسان قبل كل شيء ، وبالتالي فإنّ بنيته التي يؤسس عليها هويته كمثقف تتمثل في (الحكمة – العقل – الوعي – الرصيد الفكري) ، والوظيفة التي يمتهنها تختصر في (التنبيه – النصح – الإرشاد – التوعية – الإقناع) ففي ذات المثقف تكمن رسالة عظيمة ، ومن هنا برزت قراءات تؤسس لهوية المثقف بناءً على اشتراطات يجب أنّ يتحلى بها ، ومن أهم تلك الاشتراطات نجد الآتي (موسى ، 2012):

1 – المثقف يجب أنّ يكون ذلك الشخص الذي تمكن من الإحاطة بنصيب كبير من تاريخ الإنسانية قديمه وحديثه ومعاصره. أو بمعنى أخر يجب أنّ تكون له دراية بأهم الأحداث التاريخية التي أثرت في مسيرة الحضارات ، وما هي أضخم الأحداث والكوارث التي حدثت، وما هي أعظم الحضارات التي سادت ، وعلى أي أسس نهضت ، إلى جانب الإحاطة بأهم الشخصيات التي قدمت للإنسانية أفكاراً ومخترعات ، أو أبدعت نظريات ، أو اختراعات ، أو حققت اكتشافاً علمياً ، أو تقنياً .

2 – المثقف هو من يمتلك دراية بتاريخ الأفكار التي تتحكم في عصرنا ، فمعرفة تاريخ الأفكار يجعل من المثقف يحيط بظروف الفكرة ، ومناخها الذي نشأت فيه ، وطبيعة المجتمع الذي أمن بها وعمل على ممارستها والأخذ بها، ومدى مناسبتها لعصرنا، وهل نحتفظ بها كما هي، أم نطورها ، أم نعدلها ، فتاريخ الفكرة يبين مفهومها وقيمتها .

3 – أن يتعمق في علمٍ من العلوم ، أي بمعنى أنّ "للرجل المهذب (المثقف)أنّ يعرف علماً من العلوم الحديثة... والرجل الذي يُعَنى بالثقافة العلمية ينطبع في نفسه المزاج العلمي، فهو يعتمد على القياس

والتجربة ، وهو لا يستسلم حتى لمنطق الذهن المجرد ، لأنّه لا يقنع بالتفكير فقط ، بل يزيد عليه التجربة باليد" (موسى ، 57) أي بمعنى يتحقق من أفكاره من خلال منجزات العلم والتي تتمثل في المعمل والمختبرات وآلياتها ، حتى يتحقق من دقة الفكرة .

4 – أنّ يجيد لغة ما ، وخير اللغات التي يعرفها هي لغته التي نشأ عليها . والمقصود بمعرفة لغة هو العلم بدقائق مصطلحاتها ، ودلالة معانيها ، وعلوم تلك اللغة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، ولكن من المستحسن أنّ تكون تلك اللغة لغة قومه التي نشأ في ظلها، وتعرف على دلالات ألفاظها . فالمثقف هو ذلك الشخص الذي يتميز بقوة الشخصية ، فهو متفرد يتصف بالشجاعة في قول الحق، ويتميز بالذكاء والقدرة على التحليل والنقد ، أما تعبير غرامشي بأنّ "كل الناس مثقفين، لكن ليس لهم كلهم أنّ يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع" (سعيد،2013، 21) فهو قول لا يمكن تعميمه ، وليس بالضرورة أنّ يكون صادقاً في كل المجتمعات وفي شتى العصور ، فقد يصبح لأغلب الناس إحاطة بمفاهيم وحاجات مجتمعهم وعصرهم ، ومتطلبات حياتهم ، والقدرة على إدارة شؤونهم ، وفي هذا شيء من الثقافة ، لكنهم لن يكونوا مثقفين ، فالثقافة احتراف مثل بقية الحرف، لا يتمكن منها كل متدرب أو مريد، وغايته أنّ يُظهر الحقيقة ولا غاية نفعية أو مصلحة شخصية يرتجيها (سعيد، 2006) وإذا ذهبنا إلى تاريخ المثقفين العالميين وجدناه يزخر بشخصيات تعمل لأجل الحقيقة والإصلاح والتقدم ولا شيء دونها، أما قضية التحايل والتضليل التي يرتكبها بعض من نصطلح عليهم بالمثقفين فهؤلاء تنعدم لديهم الصرامة الفكرية (سويل ، 2011) ، فالمثقف حينما يخرج عن إطار الحق والعدل والشجاعة ، فهو يمارس خيانة الثقافة .

ثالثاً: أصناف المثقفين :

للمثقف هوية ينتمي إليها ، أو نهج فكري يتبناه ، أو تخصص علمي يندرج تحته ، أو عقيدة يؤمن بها ، ويفقهها ، وهذا التقسيم أو التوصيف ، هو تصنيف محل نظر ، وهو كذلك عرضة للنقد لأنّه ينطلق من رؤية سطحية ، ولعلي أقول: بأنّ للمثقف مفهومًا أعمق ، ولا يجب اختصاره في تخصصاتهم ، إنّما يجب أن يرتكز تصنيفهم وفق توجهاتهم وانتمائيتهم ، غير أننا نجد العادة قد جرت على تقسيم المثقفين بحسب تخصصاتهم ووظائفهم وأدوارهم التي يقومون عليها ، وفق النحو التالي :

أ– المثقف العضوي: وهو "مثقف يوجد في كل الطبقات الاجتماعية باستثناء الطبقة الفلاحية" (بنيت ، 2010 ، 588)، أي هناك مثقف يفقه في قراءة القضايا والإشكاليات السياسية، ومثله كذلك مثقف مهتم بالقضايا الاقتصادية، ومثقف محيط بالنظريات والإشكاليات والقضايا الاجتماعية ، إلى غير ذلك . وهذا

يعرف بالمثقف المتخصص، وهو شخص متمرس لديه قدرات طبيعية (الذكاء ، الموهبة ، الفراسة) إلى جانب هذه المقومات الطبيعية، يجب أن تكون لديه قدرات مكتسبة مثل: كثرة الاطلاع والإحاطة والمتابعة لموضوعات التخصص ، والإلمام بمجموعة من اللغات ، قدرته على الاستنتاج وإنجاز الأفكار البناءة .

ب- المثقف المحترف : ووفقاً لغرامشي فإنّ هذه الطائفة من المثقفين هم جماعة مرتبطون بشكل مباشر مع مؤسسات تجارية تستخدمهم لتنظيم مصالحها ، والحصول على مزيد من القوة لغرض السيطرة ، لذلك فإن المثقف لا يعدو أن يكون موظف علاقات عامة يجيد فن إقناع المستهلكين ، أو مديراً للأدعية ، فهو لا يستقر على حال، فغايته إقناع الناس ، وليس استظهار الحق وبيان الحقيقة ، إنه يحمل ثقافة ومعرفة موجهة لخدمة المصالح وتلبية الرغبات . ولذا فهو مثقف على المقاس .

ج- المثقف التقليدي : ويمكن أنّ ينسحب هذا المصطلح على رجال الدين بشتى توصيفاتهم ، وانتماءاتهم ، وبمختلف أديانهم ، وكذلك المعلمون والإداريون يُعدون من المثقفين الذين يتم إعدادهم ليقوموا على وظيفة بذاتها، فالمثقف التقليدي يتم إعداده ، وتنشئته في مؤسسات متخصصة ، ليتولى القيام ببعض الوظائف ، فيصبح منتمي إلى جهاز أيديولوجي ممتد الجذور يعمل على إعادة إنتاج العقيدة الفكرية وتماسكها الداخلي (سعيد، صور المثقف، 22)، فالمثقف التقليدي مرتبط بالدولة وموظف لديها وله مهمة ، تتمثل في حفظ العقول من التشويش ، وإمدادها بالإجابات الجاهزة لكل سؤال ، بشرط لا تخالف الإجابات منطق سير النظام ، فهؤلاء هم عصبية الحاكم ، وحياتهم مرتهنة لدى السلطة ، فهم جنود للسلطان المتسلط على رقاب الناس ، ومع أنهم لا يحملون سلاحاً ولكنهم يحملون القلم ويجيدون فن إدارة الكلمة التي يُعتبر صداها أقوى من الرصاص ، وخاصة في زمن الأزمات ، فهم يحتكرون المعرفة لهم وحدهم ، ويتوددون للسلطان على حساب مصلحة الشعب (سعيد ،296) ويقدمون إرادة الحاكم على إرادة الحق والعدل .

ح- المثقف الملتزم: فالمثقف الملتزم مستقل ومتحرر ، ليس له ولاء ، ولا سلطان ، إلا سلطان الحق ، وصوت العقل ، ولأجل الخير العام ، فهذه الطائفة القليلة بحسب بندا" تُؤلف طبقة مثقفة ، ممن هم حقاً مخلوقات نادرة جداً ، لأنّ ما يدعمونه ويدافعون عنه ، هي المعايير الأزلية للحق والعدل ، ليست تحديداً من هذا العالم" (سعيد، صورالمثقف،23)، ويعتبر هذا نوع من المثقفين خارج حضيرة القطيع، فمواقفهم وأفكارهم هي الفيصل في تحديد هويتهم ، ولعلنا نجد من شواهد تاريخ الفلسفة سقراط (389-470 ق.م)، وفولتير(1694 - 1778)، من أبرز من يمثلون هذا الصنف ، لأنّهما برهنا على تجاوزهما لحدود

الانتماء والتعصب ، وبالتالي دأبوا على مناشدة الحق والعدل لكل الناس ، ومن كل الأجناس، ثقافتهم أصيلة، وإرادتهم صلبة، أفكارهم إبداعية وغايتهم إنسانية، هم أباء الفلسفة ولسان الحكمة ، ليس لهم زمن ولا تحول دونهم الأبواب ولا الحدود .

ولعلي أجد في هذا المقام ثمة تصنيف أخر يتبناه هشام شرابي1927، بحيث جعل من المثقفين أربعة أصناف ، فمنهم طائفة ملتزمة توفق بين الفكر والواقع ، بمعنى تعمل بما تقول ، هذه الجماعة ملتزمة لا تخشى شيئاً يعترضها ، وهؤلاء يصدق عليهم مصطلح المثقف الملتزم ، وصنف أخر اشتهر بالارتزاق ومنهم أصحاب الأقلام المأجورة ، كالمحترفين من الأدباء والكتاب والمفكرين الذين لا يتجاوزون صفحات الكتب والجرائد والتنظير التلفزيوني ، فهؤلاء فرسان كلمة فقط ولذلك اصطلحنا عليهم بالمثقفين المحترفين ، أما الصنف الثالث فهم الأساتذة والمعلمون الذين يقتاتون من هذه المهنة ، وهؤلاء أطلق عليهم غرامشي اسم المثقفين التقليديين ، أما الصنف الرابع والأخيرة فهو أقرب إلى الصنف الثالث ، فهم المهنيون والأخصائيون ، وهؤلاء هم الحرفيون ، ومرتبتهم كمثقفين يقعون في نهاية التصنيف ، فهم لا يتمتعون بالحس الأيديولوجي الواعي الذي يعي ماهيته (شرابي، 1984) . وبالتالي فقد جاء توصيف شرابي متوافقاً الى حد كبير مع تقسيم غرامشي ، ومع هذه التوصيفات ، فإنّه يظل المثقف الملتزم والمستقل والمتحرر هو المقصد والأصل الذي يهمنا في بيان هوية المثقف ، أما بقية التصنيفات فهي تتقاطع في أحيان كثيرة مع هوية المثقف، لأنّ أهلها هم موظفون أكثر منهم مثقفين، فالإنسان الذي يجعل من نفسه يسير وفق نهج محدد ليس جديراً بمهمة التثقيف وتوعية الناس للثقافة الواجبة والحقة ، فهو بذلك يخرج من جنس تعريف المثقف .

رابعاً:. الدور الذي يؤديه المثقف في إدارة المشهد العام :

لعلنا ننطلق هنا من تصور مفاده: أنّ على المثقف أنّ يلعب دوراً مركزياً في المشهد العام بكل جزئياته ، فهو تقع على عاتقه مهمة أساسية وحساسة للإسهام في رسم ملامح المجتمع الموعود ، وذلك من خلال توجيه الرأي العام ، وحثه على تبني نهج بذاته ، ومن خلال هذا يمكن أنّ نحدد الصفة التي يتحلى بها المثقف بمفهوم أبعد مما أشار إليه ماركس والمتمثل" تغيير العالم لا تفسيره" (الزنيد، 2009 ، 49)، أي أنّ المثقف بفطنته ووعيه وقدراته العقلية ، ورؤيته الفكرية يستحث المجتمع للتغيير ، وذلك من خلال طرح أفكار، ورؤية استشرافية وفق اختيارات عملية ، لما يجب أنّ يكون عليه المجتمع ، فالبشرية تحتاج إلى التغيير أكثر من عملية تفسير للأشياء دون تغييرها ، وبما أنّ المثقف صفة اعتبارية تلحق بفئة بعينها ،

ودون سواها ، لذلك فالدور الذي تقوم به ، لا بد وأن يكون متوافقاً مع هويتهم ، ومن زاوية ثانية فإن التغيير بدون تفسير لا يبرر ذاته ، ولا يقنع الأخرين ، وبالتالي لكي يتحقق التغيير ،لا بد وأن يحمل في ذاته تفسيراً لما يحدثه ، فوظيفة المثقف من هذه الوجهة ، هي أبعد مما يتصور ماركس ، فالمثقف هو مبتكر وناقل وناقد للأفكار (مور ، 1988) ، لذلك لا يمكن أنّ نحدث أي تغير ، أو حتى تفسير، لأنّ التفسير وعي بضرورة التغيير وبيان مبررات التغيير. بالتالي فالمثقف الملتزم لا يتعامل مع ذاته كموظف له دور يقوم به مقابل مرتب أو منصب ، فالثقافة بالنسبة للمثقف وظيفة إنسانية دعوية أخلاقية ، وإن كانت في إطار وظيفته التكليفية ، وبمعنى أدق فالمثقف شخصية ليست عادية ، إذا خرج من عالم الولاءات والعصبيات ، وكذلك الانتماءات التي تؤثر فيه ويتأثر بها ، فهو شخصية عالمية همه يتجاوز هموم مجتمعه ودولته ومحيطه، فهمومه هموم البشرية والكون وما فيه من كائنات وجمادات ، ووظيفته الأساسية هي "إعلاء شأن حرية الإنسان ومعرفته ، والعلاقة بين المعرفة والحرية عضوية ، فتقدم الحرية يتناسب طرداً مع تقدم المعرفة ، والتقدم هو العمل الدائب والمتصل لتوطيد الحقيقة ...وهذه العملية النقدية هي محرك التقدم" (القيم ، 2010). إذ ترتبط وظيفة المثقف بالتقدم وتحليل أفكاره وتفسير منجزاته ، فالمثقف هو المتتبع لحركة الحياة والباحث في دقائقها ، وقد عبر إدوارد سعيد عن ذلك وبقوة من خلال اعتبار أهمية الوظيفة التي يتولاها المثقف باعتباره فرداً منح القدرة على تمثيل موقف أو رأي ، وتجسيدها في صورة معينة أمام الجمهور، فهو شخص يكون وجوده من أجل التحدث باسم الناس المضطهدين ، والتذكير بقضاياهم التي تم إهمالها بشكل متكرر (سعيد ، 2013).

خامساً: جدليات بين المثقف والسلطة الحاكمة:

يمثل المثقف أهم الأليات التي تساهم في إدارة البلاد ، فهو من الضروريات التي يحتاجها الحاكم ، وهو في ذات الوقت الهاجس والخصيم للحاكم ، لذلك فثمة علاقة واقعية وعلاقة مفترضة أو واجبة ، ووفقاً للعلاقة المفترضة فإنّ المثقف في الأصل مواطن ينتمي لهذه الدولة أو تلك ، له حقوق وعليه واجبات ، إلا أنّ الثقافة أضفت إليه هالة من الرقي والالتزام ، وهذا الرقي هو نتاج حالة الوعي التي يتميز بها (المثقف) كإنسان في قدرته على فهم وتحليل ونقد وابتكار المواقف والأفكار، ولأنّ المثقف يملك هذه القدرات والمواهب فلا بد أن يكون شجاعاً حتى يصدع بالحق . وعليه فأصل العلاقة بين المثقف والسلطة هي انعكاس لنهج السلطة الحاكمة، فالمثقف يحتاج إلى الحرية كوسيلة ينطلق من خلالها في بيان الحقائق والدعوة إلى الإصلاح والبناء والتطور والعدالة ، بل ومنهم من يكونون هم المبدعين والمخترعين

والاقتصاديين ومصدر إدارة القرار السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، فالمثقف ليس إنساناً خارج نطاق الدولة أو يعيش بمعزل عنها ، فهو جزء منها، ومن خلال وجوده وملامسته للأحداث ومعاينته لها، فهو يعارض كل مفسدة ، وفي هذا المقام يتصادم طموح الدولة الممثلة في الحكومة مع طموح المثقف، فكل منهما له أهداف وتطلعات، فالحكومة هدفها خدمة مصالحها وإنجاح مرحلتها في سياق مصالح الدولة، لذلك تلجأ الدولة إلى العديد من الأساليب لاستمالة المثقف إليها والاستفادة منه (الديجاني ،2001)، ولهذا فقد يركن بعض المثقفين إلى الاستمالة، خشية من أسلوب الترهيب والعنف الذي قد تستخدمه الحكومة أحيانًا . أما وفقاً للعلاقة الواقعية كما يرى غرامشي فإنّ المثقف، ما هو إلا موظفٌ وخبيرٌ في إضفاء الشرعية على الحكومة ، وبالتالي فهو أداة لإنتاج وإعادة إنتاج المعرفة وفقاً للطبقة التي يرتبط بها ، فهو المعبر الإيديولوجي (فرح، 1991، 320) ، وبالتالي فإن وصف غرامشي يصدق على الكثير من المثقفين العرب ، لأنهم خصوم لشعوبهم في بعض الأحيان ، خاصة عندما تكون تمارس الدولة الظلم ، وهنا تكون نقطة التقاطع ، فيحدث التصادم بين السلطة والثقافة (سعيد ،2011) . ولعلنا نجد من زاوية ثانية أنّ العلاقة بين المثقف والسلطة ، تحدد السقف الممنوح له في التعبير والتداول للإشكاليات المجتمعية ، فمستوى الحريّة المسموح به للمثقف هو الذي يحدّد طبيعة علاقته مع السلطة، فالحاكم المتزن المتبصر يستفيد من المثقفين ويسترشد بهم للدفع بالبلد إلى مستوى متقدم في شتى المناحي، والاستعانة بهم في تنفيذ مشاريع التنمية الثقافية والاجتماعية والعمرانية (نصار، 1995)، إلا أننا نادرٌ ما نشاهد هذا الصنف من الحكام في تاريخ الدولة العربية الحديثة والمعاصرة . وبالتالي فإنه من المنطقي أن تكون العلاقة بين المثقف والسلطة، علاقة مشحونة بالتوتر. باعتبار أنّ المثقف هو المراقب والمرشد والمتتبع للأحداث، والناقد للواقع والمعالج للقضايا، ولذا فالمثقف هو الباحث والدارس للاختناقات وللإشكاليات التي تقع في مجتمعه ، وهو دليل للحكومة الرشيدة ، وخصم لدود للظلم والفجور.

سادساً: المثقف العربي بين الذات والفاعلية:

إنّ المثقف العربي مفهوم إنساني يقترن بالهوية العربية ، ولا يعني هذا إنكار لسائر الجماعات الأخرى الشريكة في تشكيل الهوية الإنسانية من المؤسسات المختلفة ، بل وحتى في مضمون الثقافة ، فإنّ المثقف اليوم هو ركيزة أساسية من ركائز أي مجتمع ، وبالتالي فصورة الدولة هي انعكاس لماهية المثقف وقيمته ودوره ، فالمثقف هو إنسان عارف وعالم ، وله إحاطة بهويته الوطنية وله دراية بتاريخها، أو كاتب يمتهن الكتابة أو خطيب يحسن الخطابة أو نابغة من نوابغ الشعر، أو هو متدين وله إحاطة

بدقائق الفقه وفروعه ، وهذا الإنسان قد يكون رجلاً، وقد تكون امرأة ، يمارس واجبه التشريعي ، وقبل واجبه التكليفي، بحيث يمنحه من الوقت والجهد الكثير، وهو بمعنى أكثر دقة إنسان يفكر في طبيعة الأمور استناداً على أفكار مثقفي عصره أو مفكرين سابقين عليه يستوجب أنّ يسير على منوالهم ، وقد يكرر بعض الأفكار أو يعارضها أو يتجاوزها . فلا يوجد مثقف يفكر تبدأ افكاره من الصفر (الجابري،7)، وبمعنى دقيق فأن المثقف أساساً ينطلق من أرضية خصبة ، مملوءة بالأفكار الحيوية ، والآراء الناقدة ، إنه لا يجادل ويُخاصم لأجل لا شيء، فهو كما يصفه الجابري(1936- 2011) بأنه ذلك الإنسان المتميز الذي يفكر، ويستدل بالأفكار ومن خلالها ينطلق سلباً أو إيجاباً ، فالمثقف وعاء للفكر بحسب الجابري . إلا أن هشام الشرابي يشير إلى تصنيف المثقفين العرب قياساً على الواقع ، إلى أربع أصناف ، كنا قد أشرنا إليها في أنواع المثقفين. وبالتالي فالمثقف هو إنسان بضاعته أفكار ، سواء أكانت تلك الأفكار من إبداعه هو، أم كانت منقولة عن سواه ، لكنه آمن بها إيماناً جعله يعيد احيائها ، ومن ثم أراد أن يقنع بها الآخرين لكي يحيوها معه ، والأرجح أن تكون تلك الأفكار ذات محتوى نهضوي يرتقي بالناس إلى نحو أفضل (محمود،11)، إذاً فالمثقف العربي إنسان يعيش همومه ، وينشغل بها، ومن تلك الهموم والمعاناة يستخلص الدروس والعبر، فقد ينجح في التوصيف والتشخيص، لكنه إلى يومنا هذا أثبت بأنّه قد عجز عن إنجاز مشروع ممكن وموضوعي، لإخراج الأمة من معاناتها وهزائمها، وبالتالي فهو يعيش أسير الأفكار.

سابعاً:. المثقف العربي وأزمة النهوض :

لعلنا وبقراءة تاريخية لواقع المثقف العربي نلاحظ أنّ هذا المثقف كان دوماً يعيش الأزمات ويعاني من الإخفاقات التي يصطدم بها من خلال الواقع المتردي ، وصعوبة قبول أي مشروع نهضوي على مستوى الأمة والدول ، وذلك بسبب عدم توفر المناخ المناسب ، وعدم التوافق الكبير بين المثقفين فيما بينهم ، وبين الإجهاض الذي تسببه الحكومات من خلال التهويل والتهميش وإسكات الاصوات الإصلاحية والتنويرية ، وبالتالي من الممكن أنّ نحدد أسباب أزمة المثقف العربي في مجموعة مؤشرات نحددها في الآتي :

1- غياب الحوار الجاد والمثمر بين أنصار التيارات الفكرية المختلفة على اختلاف مسمياتها وانتماءاتها من ليبرالية وإسلامية واشتراكية ، ويمينية ويسارية ، معتدلة ومتطرفة ،وغيرها ، وذلك هو العائق الأكبر في طريق انبثاق مشروع ثقافي نهضوي (قاسم ، 2002) ، فغياب الحوار يعني وجود طفرة بين انتماءات

المثقفين ، الأمر الذي يؤدي إلى فشل الحوارات بسبب عدم الاعتراف بالآخر (قاسم ، 12)، وعدم الاعتراف في ذاته إساءة لقيمة المثقف في شتى انتماءاته ، لأنّ كلاً من هذه الاتجاهات حقيقة ، وإنكار إحداها من قبل الآخر هو ذاته جهل بالواقع ، وجحود للفكر ، وهذا ما قد طغى على السطح أبان الانتفاضات العربية المعاصرة ، وما قد اصطلح عليه الإعلام الرسمي بثورات الربيع العربي. هذا وقد نبه علي حرب إلى وجود معضلة تتمثل في "إننا نتعامل مع الأفكار كتصورات مطابقة للواقع ، وينبغي الأخذ بها لتطبيقها ، فتكون النتيجة هذا التقصير والتراجع" (حرب، 2004 ، 166)، فالمثقف العربي يسرح مع الخيال وينسج الأفكار ، دون الاعتبار بالواقع وهذا في ذاته إشكالية معقدة ، فلكي يكون فكرك مطابقاً للواقع يجب أنّ ترتقي بالواقع ، أو تبسط الأفكار، غير أن كليهما صعب المنال، فالمجتمع الذي لا يعي نفسه ولا يعترف بقصوره ، ثم ينطلق اعتماداً على أفكاره المحلية التي تتناسب مرحلياً مع منظومة القيم والأفكار السائدة ، وبالتالي إذا لم يكن هو كذلك له مستوى من النضج ، فلن ينتج إلا مزيداً من الأسر والتبعية . فهل عجز المثقف فعلاً عن أنّ ينتج مشروعاً تقدمياً وتصحيحياً اعتماداً على الرصيد التاريخي؟ ففي الحالة العربية الراهنة، وكذلك ما لمسناه في تاريخ المثقف العربي، إننا وجدنا المثقفين في حالة تخندق وتمترس خلف الهوية الثقافية التي ينتمون إليها، بحيث نرى الفقيه كمثقف ديني يشحذ هممه ويركز مواهبه لأجل إثبات مغالطات الآخرين، فلا يكتفي بالنقد لأجل الإصلاح، بل النقد لأجل النقد ، كذلك ما قد نلمسه عند الآخرين سواء كانوا اشتراكيين ماركسيين، أو ليبراليين رأسماليين، فكل من هؤلاء يقبع في برج عالٍ، وينظر إلى الأخرين نظرة دونية ويرميهم بتهمة القصور الفكري، ويمارس ضدهم سلوك الإقصاء الفكري والديني ، وهذه حالة نعتبرها ظرفية ، قد تزول بزوال المسبب، وقد لا تزول وتصبح عقيدة عند المثقف .

2- الاغتراب :غربة الإنسان عن جوهره (حسيبه ،2009) ، حيث يعد الاغتراب من الإشكاليات التي أدت إلى وجود أزمة لدى المثقف العربي ، فهو يفقد ذاته وهويته التي تفقده حريته ، فهذا حسن حنفي يجزم بأنّ الاغتراب هو حالة مرتبطة بالوعي الإنساني، وهو وضع يعبر عن مستوى الحرية التي يشعر بها الإنسان (حنفي ، 1979)، فالحرية مفقودة عند الإنسان المغترب ، فقدها في عالمه الطبيعي الأصيل الذي نشأ فيه، ولكنه يملك حريته في عالمه الجديد، وهذه الحرية لا تعيد له هويته ولا كرامته ، لذلك فإن المثقف بصفته إنساناً ومثقفاً ، منفصلاً عن الواقع الذي ينتمي إليه، فغربته الفكرية والأخلاقية أفقدته قيمة الذاكرة الوطنية والدينية والاجتماعية ، فأصبح ينظر ويستشرف لمشاريع خارج محيطه ، ولعل حنفي كان

هدفه تصويب المعادلة في الواقع العربي، حيث اعتبر أن اغترابنا نتيجة منطقية للمسار الذي نتخذه ، والنهج الذي نسلكه ، فـ"المجتمع النامي الناهض الذي ينتقل من القديم إلى الجديد، ومن التسليم إلى التفكير، ومن الموروث إلى النقد، فهو في حاجة إلى تنوير أكثر مما هو في حاجة إلى تثوير، فالتثوير بلا تنوير مجرد تغير اجتماعي ، أو انقلاب في الأوضاع تحدثه السلطة القائمة في المجتمع ويتغير بتغير السلطة...لا يخلقه وعي ولا يخلق هو وعياً" (حنفي، 1979 ، 43)، وبمعنى أخر فاغترابنا رهن إعادة برمجة منظومتنا الفكرية ، وإعادة هذه البرمجة في ظل مغالطات من المؤسسة السياسية والدينية والاجتماعية ، فكل هؤلاء لا يسمحون باعتناق أو طرح أي فكر أو ثقافة تتصادم مع رؤاهم وتراثهم الذي يؤمنون به ويقدسونه بشكل أعمى ، لذلك يبقى المثقف هنا أسير لإرادة مؤسسات المجتمع التي تكبله ، ولا تكسبه أي مكانة ، أو تمكنه من ممارسة دوره في المجتمع ، فالإشكالية من هذه الزاوية إشكالية في البنية الفكرية العربية والإسلامية ، فواقعنا هو نتاج المنظومة الثقافية عندنا، وبالتالي ففي غياب الحرية والتسامح يصبح المثقف المستقل خارج المشهد لا أثر له، وهذا ما دفع بالكثير من المثقفين إلى الهجرة والقبول بالاغتراب الذي فرض عليهم .

وعلى ذلك فإن المثقف العربي يعيش حالة الاغتراب، ولم يتمكن من لعب الدور المرجو منه في التأثير على هذه الأحداث، في حين أن الطرف الأخر مازال يلعب نفس الدور وبنفس القوة ، مع بعض التعديلات البسيطة في نمط التعبير والمحاجة الفكرية ، بل دأبت المؤسسات الثقافية والإعلامية الموجهة من تشويه أي طرح فكري تنويري قد يطرح من قبل النخب المثقفة التي تعيش اغترابها الجديد .

3- هوية الحاكم وإيمانه المطلق بفكرة أن الدولة ملك مقدس، والسير وفق شعار:(أنا الدولة ، والدولة أنا)، فهذه الإشكالية من أعقد الإشكاليات التي يعاني منها الواقع السياسي في العالم العربي ، فالحكام العرب ، وبصفه خاصة أولئك الذين تسيطر عليهم فكرة ، أن الدولة وما فيها ومن عليها هي ملك يتوارثه أبناؤهم عن آبائهم جيل عن جيل ، وللأسف فقد لعب بعض من المثقفين العرب أنفسهم دوراً كبيراً في تهيئة الرأي العام للقبول بهذه الفكرة ، من خلال تدشين فكرة المخلص التي تمثل الأمن والأمان والسيادة، ولحسم الجدل في هذه الإشكالية يجب التركيز على الحوار بين كل المتعارضات ولا سبيل غير ذلك، والدعوة إلى تحقيق خطوات في الاتجاه الصحيح ، أي على المثقف ضرورة إعادة النظر في قراءاته وأطروحاته حتى لا تكون مثاليات بعيدة عن التحقق، وضرورة خروجه من عزلته عن الجمهور، وتدني حضوره في إنتاج المشروع المجتمعي (أمين ، 1989) وكذلك وجوب نشر ثقافة المنتديات والجمعيات

المدنية التي تكون أكثر تحرراً من سلطان الحاكم، إلى جانب الاستمرار في ممارسة الضغط الشعبي على الحكومات لأجل إحراز تقدم على مستوى المشاركة الفعلية سياسياً ، وتمتع بمستوى أكثر من الحريات ، وإعادة الثقة بينه وبين المجتمع ، ويتخلص من عجزه عن التأثير في المحيط الاجتماعي وتطوير ثقافة المجتمع، ونظرته الاستعلائية التي تغلب على علاقته بأبناء شعبه ،إلى جانب التخلص من علاقة المجاملة والتودد إلى الحاكم ورجاله ، فالمثقف المجامل المتحالف مع السلطة، والمثقف غير الراغب في التصدي للتحديات بلجوئه إلى الصمت أو مجرد مشاهدته للظواهر دون الانشغال بها، فهو خارج منطوق المثقف المعاصر (أسامة ، 1980)، فالتغيير إرادة وفكر ومصابرة ، إذا لم تتحقق هذه الاشتراطات، فإن المثقف لا يقف على أرض صلبة يستطيع من خلالها مواجهة الأقدار .

4- مشكلة التضخيم، وهي إشكالية يمكن أن نصطلح عليها فلسفياً ، كما أشار إلى ذلك ، علي حرب في كتابه أوهام النخبة(الأوهام) ، والتي يبرر اصطلاحه عليها ، بأنه لغاية تطهيرية ، أو صحوة "سبر إمكانيات جديدة للفكر أو القول، تتيح لي أن أمارس فاعليتي الفكرية أو سلطتي المعرفية أو مشروعيتي الثقافية" (حرب، 2004 ، 159)، وقد عدد علي حرب مجموعة من المفاهيم ، كأمثال للأوهام التي يعانيها المثقف العربي في فهمه ، والمتمثلة في الهوية والحرية والحداثة والحقيقة والنخبة، ورأى أنّ القصور في الإحاطة بهذه المفاهيم أحدث عملية خلط أدت إلى لبس في ذهنية المثقف العربي، لذلك فإنّ هذا الاكتشاف منحه حق المراجعة والتحليل والفهم لتلك القضايا ، مما سيكسبه انتعاشه فكرية ، تفسح له المجال الرحب في تجديد المفهوم والفهم لهذه المصطلحات وواقعها (حرب، 2004)، وفي كتابه: (الإنسان الأدنى) حمل حرب المثقف المسؤولية عن الواقع العربي المتردي بقوله: "من هنا مسؤولية الذين تصدروا القيادة الفكرية من دعاة ومثقفين ، ومن مارسوا الوصايا على العقول والحقوق، أو على القضايا والشؤون ، لكي نصل بعد عقود طويلة إلى ما وصلنا إليه من العجز والجهل والفقر أو الهشاشة والهامشية والتبعية" (حرب ، 2010 ، 179 ، 180)، لذلك فالمثقف العربي يعيش أوهام التاريخ سياسياً (الحلم القومي)، وعقائدياً (دولة الخلافة). والحقيقة فهذا العقل ينسج على منوال التاريخ أفكاراً تجاوزها الواقع والفكر، وهي عسيرة المنال في حقبة التشظي والتردي والانهزام .

إنّ المثقف العربي اليوم يعيش حالة من الضبابية التي تجعله يحن إلى الماضي أكثر من تعقله للواقع ، إنّه يعيش مع الأطلال . وبالتالي فللخروج من هذا الوهم إلى الواقع ، وإلى الفكر المتحرر والنظر الموضوعي ، فإنّ عليه إعادة إصلاح منظومته الفكرية ، وتطلعاته القومية والدينية ، فكل يوم يمضي

تتسع الهوة بينه وبين العالم المتقدم ، لذا يجب أن نواكب العصر حتى يتسنى لنا فهم التطورات التي تحدث في العالم المعاصر.

ثامناً: حقيقة الدور الريادي للمثقف العربي:

لقد أفضنا في الحديث عن ماهية المثقف ومكانته ودوره الريادي والذي هو بأدق المصطلحات هو (الفاعلية)، فهل نجد مؤشرًا يؤكد هذه الفاعلية، وبحسب ناصيف نصار، فإنّ "الموقف الاستقلالي من تاريخ الفلسفة شرط للمشاركة الإبداعية في الفلسفة ، والمساهمة الثورية في تغيير حياة الإنسان العربي من الداخل" (نصار ، 1997 ، 10 ، 11)، وهو دور يجب أن يكون مناط بالمثقف العربي، لأنّ قيمة أفكاره وفلسفته، لا تكمن في مدى عبقريته الفلسفية المجردة ، وإنما في مدى مساهمته في إحداث تحولات جذرية أو إصلاحية داخل مجتمعه من منطلق وعي الذات بالواقع ، والدعوة لضرورة التغيير، وهذا التغيير يجب أنّ يبنى على اجتهاداته، بحيث يحقق نقلة جوهرية تمس مستوى الفكر ، وتنعكس على الواقع (زروخي ، 16)، أي بمعنى أنّ التغيير الأساسي والجوهري في تقدم المجتمع يتحقق من خلال التغيير في مستوى التفكير لدى أبناء مجتمعه، لذلك فإذا لم تتغير العقول وتتنور، فلن تتطور، فالتغير والتطور يتحقق بإنجاز حالة الوعي بقيمة الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية، فهو يمثل "دور الوساطة لا القيادة بمعنى أنّه وسيط للحد من الاستبداد والطغيان عندما ينجح في خلق وسط فكري ، أو يشكل مساحة للمعرفة أو الابتكار لشكل من أشكال العقلنة" (حرب ، ، 2004 ، 145)، فالمثقف يعمل في ميدان إنتاج الفكر وصناعة المعرفة والتي تعد من أخطر المهن، لأنّه "ينتج واقعاً فكرياً جديداً ويرتفع بالمجتمع وفق أفكاره وسريعاً ما يتلاشى لمعان بريقه وتتجاوزه الجموع ، والإنسان الذي لا يفكر وبفكره تتقدم البشرية وتزدهر حياتها، لا يُعد متقفاً، وكذلك الإنسان الذي يجهل أحوال العالم وأوضاع المجتمعات" (حرب ، 2004، 155)، وللحقيقة والتاريخ فإنّ المثقف العربي اليوم يمر بحالة من الانتكاس ، فهل سيكون جيل هذه المرحلة، جيل يقظة فكرية وتنوير بكل دلالات المصطلح تاريخياً .

تاسعاً:. المثقف العربي وأزمة مشروعه النهضوي:

يوجد شبه إجماع حول تاريخ بروز الأفكار النهضوية في الفكر العربي ، من خلال اقترانها بعصر النهضة الغربية الحديثة والمعاصرة ، والانفتاح على العالم، والإرساليات العلمية إلى أوروبا، وما واكبها من انتشار للتعليم، وحركة الترجمة، وهذه العوامل قد أذكت الوعي العربي، وحركت العقول النبيهة إلى ما نحن فيه، فما هي صورة العالم خارج حدودنا ؟ وما هو المخرج لما نحن فيه؟ وللانخراط في العصر وتحديد

مكان لنا فيه يمكننا القول بأنّ مفهوم النهضة ، هو مصطلح يراد به" التعبير عن وظيفة مقاومة آثار حقبة الانحطاط في الوعي العربي ومقارعة التيارات الفكرية المتشبثة بمنظومة الماضي الثقافية" (بلقزيز ، 2007 ، 86)، أو بمعنى أخر، أنّ النهضة حراك وجدل تبني بضرورة طرح التصور الأمثل لخروج العرب من حالة التردي والتبعية التي يرزحون فيها، فالنهضة تُعد معركة ضد الواقع ، سلاحها الفكر وغايتها تحقيق الرفعة وفق رؤية تتناسب مع تركيبة المجتمع العربي ومنظومته الفكرية، وهذا يعنى أن ثمة خصوصيات ثقافية تختلف من أمة إلى أخرى، ومن بيئة إلى أخرى، فالذي يمّكن أحدنا من نيل ما يصبو إليه، هو ليس بضرورة أن يكون ممكن للآخر، وهذا للأسف الشديد خلط ومغالطة وقع ويقع فيه الكثير من المثقفين العرب الذين يطالبون بإعادة إنتاج تاريخ أوروبا في واقعنا العربي، وهو ما يعد من الاستحالة، فيمكن الاستفادة من أفكار الآخرين في تكوين أفكار جديدة أو مغايرة، أما إعادة ممارستها بنفس الصورة وعلى نفس الوتيرة، فهذا قد يجلب علينا ما لا يحمد عقباه . إذاً لكل نهضة ظروفها التي ليست بالضرورة أن تتحد بنفس الدرجة، ومن نفس الجهة، فالنهضة الأوروبية كانت في أساسها ثورة على سلطة الكنيسة الباسطة لسلطانها على شتى المناحي، أما النهضة في العالم العربي فهي من ناحية تعبيراً عن شعور بالتمرد والثورة بل والرفض للواقع القائم آنذاك، والرغبة في تغيير ذلك الواقع وتعديله، إلى جانب أنه كان نتيجة ومحصلة للاتصال الثقافي المباشر بالغرب والتأثر بالقيم الفكرية التي ترتكز عليها الثقافة مع الرغبة في محاكاتها أو على الأقل الأخذ منها (أبوزيد ، 2001)، فأوروبا ونهضتها تأسست وفق ظروف داخلية، في حين العرب جاءت نهضتهم وفق ظروف خارجية تمثلت في طغيان العثمانيين، وفساد نظامهم الذي جر على العرب الفقر والتخلف والقهر، فتأثر العرب بالحضارة الغربية مغزاه هو الإفلاس الفكري أولاً، واندفاعهم في اتجاه الحل الأسرع، والمتمثل في إعادة إنتاج الفكر الغربي في الواقع العربي، وهو ما يعد من القصور الفكري وغياب الموضوعية في أبعد مضامينها. وعليه لم يستطع العرب إلى يومنا هذا وبعد قرنين كاملين من تحقيق النهضة بمفهومها العلمي ، أو حتى الاتفاق حول غايتنا وهدفنا المنشود .

عاشراً: المثقف العربي والمشهد المعاصر بين الفاعلية والتفاعل:

لقد فرض المشهد العام في العالم العربي أبان ما يصطلح عليه(الثورات العربية) التي اندلعت في عام2011 ، فكان امتحانًا عسيرًا تعرض له المثقفون العرب ، وبالتالي كانت مواقفهم تعكس انتماءاتهم ، الأمر الذي أثبت الحقيقة المرة ، فكان المشهد العام يؤكد بأن أغلب المقومات الفكرية كانت معطلة ، أو

سلبية ، إما لصالح النظام الحاكم ، أو للثقة المفرطة في فكرة هشة ، أو أنها لم تبلغ مداها(نحن نؤمن بما هو غير واقعي ، وغير قابل للتحقق موضوعياً . إلا أنّه من المنطقي أنّ نقول: بأنّ حركة التاريخ لا تتوقف ، وتطلعات الإنسان لا تنتهي، وسنة التغير والتطور من أبجديات الحياة ، وما شهده العالم العربي في بعض بلدانه ليس بسابقة غريبة ولا خطيرة وفق مقتضيات العقل والمنطق، وفي ظل الانفتاح الفضائي على المجتمعات الأخرى ، ووفق الأوضاع المتردية لحقوق الإنسان ، وأنظمة الحكم الاستبدادية المستهينة بحرية الشعوب واستحقاقاتها ، ولأنّ مؤسساتنا ومراكزنا البحثية ، هي في طائلة استبداد الحاكم ، لذلك لم تهتم بوضع الإنسان العربي إلا على سبيل دغدغة العواطف وكسب المواقف، دون الاجتهاد في مشروع موضوعي يحقق تنمية شاملة تمس كل الحيثيات في حياة المواطن العربي، وهنا نحن لسنا في موقف الدفاع أو التحامل ، بقدر ما نحاول استجلاء الحقائق والمواقف من التاريخ والواقع . فالمثقف العربي تقع على عاتقه مسئولية أخلاقية ووطنية في تقدم الصفوف وتوطين الأفكار التقدمية والحضارية ، ولعل ما انتهت إليه أحوال الانتفاضات الشعبية في بلدان ما يسمى بالربيع العربي هو حالة يتأسى لها ، وتؤكد فعلياً غياب المثقف عن ساحة الحراك ، هذا الغياب ليس له ما يبرره ، ولذا فإننا وجدنا المثقفين العرب قد تباينت مواقفهم، وتفسيراتهم لتلك الانتفاضات . فهناك من لم يع المشهد فُصدم بالأحداث بعد اندلاعها ، فذهب يتلمس التفسير والتبرير من خلال استحضار التاريخ والسياسة في الحقب المختلفة باحثاً عن أجوبة دون طائل، وبرز في نفس التوقيت نوع من المثقفين الذين وقفوا في مواجهة التغيير بذريعة المؤامرة والتطرف . وفي نفس هذا المنحى نجد أنّ هناك طائفة من المثقفين الذين انخرطوا في الحراك وفق نسق ممنهج ، ليس لمصلحة بلدانهم وشعوبهم ، بقدر ما كانوا يمارسون دور الداعية لرؤية دينية ، أو مشرفين حملات دعائية لاتجاه سياسي مؤدلج، مقابل مركز مرموق أو هبات مالية، وكذلك وجدنا رهط من المثقفين قد اعتزلوا المشهد كلياً، مكتفين بالحديث في الكواليس ، ودون أي صدى لموقفهم ، أو قناعاتهم مما حدث ، ويحدث . ولعلنا في أيامنا هذه كنا أمام امتحان عسير يجد المثقف العربي نفسه في مواجهة الأحداث الراهنة في فلسطين، ولبنان وسوريا، فمنذ السابع من أكتوبر 2023م قد شهدت فلسطين ، وبخاصة (قطاع غزة) وضع مأساوي وكارثي ، وحرب إبادة بكل ما تعني الكلمة ، وكذلك لبنان ، وفي ظل هذا المشهد الدموي ، والتهجير والتهديم ، لا نكاد نحس بوجود فاعلية للمثقف بشكل عام ، أو تأثيره في الرأي العام ، فشاهدنا مظاهرات واعتصامات في معظم دول العالم ، في حين نجد أنّ الأمر في العالم العربي والاسلامي لا يكاد ينبئ بوجود انعكاس للمشهد أو تأثير يذكر للضغط ، على الحكام العرب كي

يقوموا بفعل يكبح جماح المحتل والغازي كي يوقف هجماته ، وينصاع للمطلب الشعبي الذي تبلوره النخب المثقفة . ولا نكاد نجد الا التنديد والشجب والتوقيع على عرائض(لرفع الحرج). فالمثقف العربي اليوم فقد شرعيته ومشروعيته ، لأنّ قيمته مفقودة ، ودوره هامشي ، في حين أنّه مطالب بالتأثير في المشهد بفاعلية يذعن لها القادة المحليون ، وتغيير المعادلة والعمل بواقعية تعي كل ما يحصل في المشهد الواقعي.

الخاتمة:

من خلال ما سبق عرضه يمكن أن نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

1- إنّ المثقف في مفهومه العلمي هو ذاك الإنسان في المجتمع المنتمي إلى جماعة ودولة، وبالتالي فهو المكون الفعال، والمنفعل، الذي يُحدث صدى ، وأثرًا قويًا في المشهد العام، سياسياً، وفكرياً، وعمليا، ويقدم الرؤية التي تساهم في رسم جغرافية السياسة وتقرير المصير، وكذلك هو صاحب نفوذ عند صناع القرار، فالمجتمعات تُعرف، وتقاس أفعالها، وفاعليتها، بمستوى المثقفين فيها. وقياساً على ما سلف ، فإنّ المثقف العربي واقعياً لا يكاد أن يكون له أثر .

2- إنّ ارتقاء الأمم ونجاح الثورات العلمية تعتمد على فاعلية المثقفين ومستوى وعيهم، وانتمائهم لأوطانهم وإدراكهم لضرورة التغيير، ووجوب التطوير ومواكبة العصر، من خلال طرح الأفكار العملية لإحداث الإصلاح في أحيان ، وفي ظروف أخرى تكون الثورات هي طريق الخلاص وفق مشروع منظم ومضبوط ، ولذا فعلى المثقفين العرب أن يعو ذلك ، ويشحذوا الهمم ، فالواقع سيئ ، والتحديات جسام، والأمل معقود على نواصيهم .

3- إنّ واقع المثقف العربي وفق منظور عام، هو واقع مهزوز ومأزوم، وفاعليته محدودة، وحضوره صوري، لا يرقى إلى مستوى الفاعلية ،إلا بقدر ما يسمح به رأس الحاكم وزمرته ، فقد أضحى بوقًا للحاكم أحياناً، ومستشاراً في إدارة الأزمات أحياناً أخرى، ليس لمصلحة الوطن، إنما لإطالة عمر الحاكم فقط .

4- إنّ تدني تأثير المثقف، هو نتاج أسباب عديدة ، منها أزمة الثقافة، وغياب الوعي بالتاريخ والواقع ، إلى جانب إعلاء الذات ، وتهميش الآخر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ النظم المتسلطة والتي تحكم عالمنا العربي تمارس كل أنواع التضييق على النخب والمتعلمين الذين تلمع نجومهم ، وتصدح حناجرهم.

التوصيات :

يوصي الباحث بالاهتمام والبحث وبشكل أكثر عمق ، لأجل تحديد الأسباب ، ووضع المعالجات ، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات ، وعرض القضية على بساط البحث والتحليل والنقد، لأجل تجاوز هذه الأزمة الثقافية في عصر الذكاء الصناعي والفضاء المفتوح .

المصادر والمراجع :

1- أبو زيد. أحمد:(2001) التنوير في العالم العربي (قراءة أنثروبولوجية) ، ، مجلة عالم الفكر، الكويت . الكويت، العدد 3، المجلد 29 يناير، مارس، ص27.

2- أسامة عبد الرحمن(1980)، المثقفون والبحث عن مسار ، سلسلة الثقافة القومية (9) ، مركز دراسات الوحدة العربي ، بيروت ، 73,75

3- – الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية (محنه ابن حنبل ونكبة ابن رشد) مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، لبنان، ط2 ، ص25 ، 7، 8

4- الديجاني ، أحمد صدقي ، وآخرون(2001) المثقف العربي همومه وعطاؤه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،ص24

5- الشيخ، محمد(1991) المثقف والسلطة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 131

6- القيم ، علي(2010) ، وتبقى الثقافة ، وزارة الثقافة ، مطابع الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، سوريا ، بدون ط ،ص90

7- بلقزيز، عبد الله(2007)، العرب والحداثة (دراسة في مقالات الحداثيين) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ط 1، ص86

8- بينيت ، طوني ، وآخرون(2010) ، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ترجمة ، سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،ص588

9- حرب، علي،(2004) أوهام النخبة ونقد المثقف، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 166،

10- حرب ، علي(2010) ، الإنسان الأدنى (أمراض الدين وأعطال الحداثة) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، ص179,180

11- حسيبة ، مصطفى(2009)، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ،عمان، ط1،ص75

12- حنفي ، حسن(1979) الاغتراب الديني عند فيور باغ ، مجلة عالم الفكر ، تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت ، الكويت ، م10 ، ع1 ، ص137,43

13- زروخي ، إسماعيل ، دراسات في الفكر العربي المعاصر ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، دون (ت .ط)، ص16

14- سعيد، إدوارد(1996)صور المثقف، ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان ، ط6، ص22،

15- سعيد ، إدوارد(2006) ، المثقف والسلطة ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، ص296

16- سعيد، إدوارد(2011) ، خيانة المثقفين، ترجمة أسعد الحسين ، دار أنينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا، دون ط ، ص163,170

17- سعيد ، إدوارد(2013) ، مقال(تمثلات المثقف) ، ترجمة فخرية صالح ، أيام الثقافة ، مجله أسبوعية تصدر كل يوم الثلاثاء ،العدد6161 ، السنة الثامنة عشر

18- سمير أمين(1989) ، نحو نظرية للثقافة ، نقد التمركز الأوربي والتمركز الأوروبي المعكوس، معهد الإنماء العربي ، ط1،ص71,74

19- سويل ، توماس(2011) ، المثقفون والمجتمع ، ترجمة عثمان الجبالي المثلوثي ، كتاب العربية ، 18، الرياض ، السعودية ، ط1 ،ص38

20- شرابي، هشام(1984)، مقدمات دراسة في المجتمع العربي، ، المتحدة للنشر ، بيروت ، لبنان ،ط3 ، ص130,131

21- شريعتي، علي(2007)، مسؤولية المثقف ، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت ، ط2 ، ص125

22- عمر ، أحمد مختار ، وآخرون(2008) ، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر ، ط1 ،م1 ص319

23- فرح ، نادية رمسيس(1991) ، المثقفون والدولة والمجتمع المدني ، كتاب غرامشي وقضايا المجتمع المدني ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ،ص320

24- قاسم، رياض. وآخرون(2002). الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2 ، ص12

25- محمود، زكي نجيب، هموم المثقفين، دار الشروق، القاهرة، مصر، بدون (ت – ط) ،ص11

26- مور ، بوتو(1988) ، الصفوة والمجتمع (دراسة في علم الاجتماع السياسي)، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، مصر ، بدون ط ،ص86

27- موسى ، سلامة(2012) ، كيف نربي أنفسنا، كلمات عربية للترجمة والنشر ، بدون ط1،ص55 ،57

28- نصار ، نصيف(1997) ، التفكير والهجرة (من التراث إلى النهضة العربية الثانية)، دار النهار ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،10,11

29- نصار ، ناصيف(1995) ، منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص110